العولمة والتنشئة الاجتماعية والهوية من منظور حق التنوع الثقافي

د . خليل محمد حسين الخالدي (*)

المقدمة

يشهد المجتمع البشري اليوم تحولات وتغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وتقنية سريعة وهائلة لم يألفها من قبل. ذلك بفعل التطور المتنامي الذي حصل في مجالات التقدم التقني والفني والإعلام والإتصالي، ونظم المعلوماتية، التي فتحت آفاقاً وفرص وتحديات واسعة أمام المجتمعات البشرية كافة، المتقدمة والنامية على حد سواء. لتجتمع كل هذه المنظومة المعرفية والمعلوماتية في إطار ظاهرة اجتماعية جديدة تلك هي ظاهرة العولمة Globalization Phenomenon ، التي شغلت الرأي العام العالمي في هذه الحقبة الزمنية المعاصرة، بوصفها ظاهرة ذات تأثيرات واسعة ومتشعبة في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات البشرية Human Societies .

ومن الواضح أن تأثيرات العولمة لا تنحصر وتتحدد في جانب معين أو نطاق محدد، وإنما امتدت تأثيراتها لتتغلغل في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية كافة.

(*) قسم علم الاجتماع - كلية الآداب / جامعة الموصل.

ولم يسلم جانب من هذه الجوانب، إلا ونرى لهذه الظاهرة بصمات وتأثيرات واضحة فيه، بحكم تغلغلها في كافة مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية.

إن هذه الأهمية هي التي دفعت الباحث، لمتابعة وتشخيص التأثيرات والانعكاسات التي قد تنتجها هذه الظاهرة على جانب مهم من جوانب البناء الاجتماعي، ذلك هو ميدان التطبيع الاجتماعي Socialization أو التثاقفي Enculturation ، الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية صياغة وبناء الشخصية الاجتماعية للفرد Social personality building عن طريق أوليات وميكانزمات عملية التنشئة الاجتماعية، بوصفها العملية الأكثر أهمية وخطورة وأثرا في حياة الفرد الجماعة والمجتمع، لأنها هي المسؤولة عن إعداد الفرد إعدادا اجتماعيا وفنيا ومهنيا سليما ليمارس دوره الاجتماعي Social rule في مؤسسات المجتمع ونظمه، ذلك الدور الذي يحدد مستقبل الفرد في الحياة الاجتماعية.

فضلا عن ارتباط هذه العملية بتكوين وتأصيل الشعور الوطني والقومي والديني في ذات الفرد، وهذا التأصيل الذي يتجلى في تشكيل الوعي والإحساس بالهوية والخصوصية الحضارية للمجتمع الذي نعيش في تكويناته ومؤسساته، لنكتسب ونتشرب تعاليمه وعادته وتقاليده وقيمه ومثله، وأصالته وحداثته، كل هذه الصيرورة تأتلف مع بعضها البعض لترسم وتحدد لنا ملامح شخصيتنا وهويتنا وخصوصيتنا الثقافية، والتي تميزنا عن سوانا من المجتمعات والأقوام البشرية، ولتحقق لنا وعينا بهويتنا وانتمائنا القومي والحضاري.

فوق ذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية Socialization محورها تكوين الذات Self Shaping وتشذيبها وتهذيبها، لتغدو مقبولة اجتماعيا وقيمياً وأخلاقيا في إطارها البيئي والمعرفي. بحيث تكون فاعلة وناشطة في أداء دورها الاجتماعي المرسوم لها في نواحي الحياة الاجتماعية، سواء كان ذلك الدور فنيا أو

اجتماعيا، كدور الأب أو الزوج أو الابن أو العامل أو المدير أو المهندس أو الطبيب، فلكل صنف من هذه الأصناف ما يسمى بـ (متطلبات الدور وممارسته)، فيجدر بالفرد أن يحسن ممارستها وأدائها.

فكلما توفرت الظروف الاجتماعية والثقافية الملائمة لديمومة واستمرار هذه العملية، كانت أهدافها ونتائجها إيجابية وفاعلة في إعداد وتهيئة الفرد ليمارس دوره في المجتمع الحديث بنجاح.

لذا فان المسؤولية تتشعب وتتوزع على كثير من الأبنية والمؤسسات الاجتماعية Social institution كالبناء الأسرى والتربوي والتعليمي، والديني والسياسي، فكل نظام من هذه الأنظمة مسؤول ومدعو للمشاركة في إطار هذه العملية الاجتماعية في جانب من جوانبها وفي مرحلة من مراحلها البنائية والوظيفية.

وقد قسم البحث إلى أربعة أقسام: يختص الأول منها بتحديد الإطار المنهجي للبحث فيما اختص القسم الثاني بشرح وتوضيح لمركبات العولمة ومكوناتها، في حين تم في القسم الثالث منه مناقشة العلاقة بين العولمة والتنشئة الاجتماعية، كما تحدثنا في القسم الرابع عن إشكالية العلاقة بين العولمة والهوية والانتماء والخصوصية الثقافية، وانتهى البحث بخلاصة بيّنا فيها أهم ما ورد في البحث من أفكار ونتائج بخصوص هذه الظاهرة.

المبحث الأول

أولا: تحديد مشكلة البحث

لقد برزت في العقد الأخير من القرن العشرين وأعتاب القرن الحادي والعشرين، ظاهرة جديدة، لافتة للنظر، لم تألفها المجتمعات البشرية من قبل، تلك هي ظاهرة العولمة Globalization . التي برزت على السطح لتنذر بتحديات وفرص وآفاق جديدة تهدد بنية المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء.

وتجلت هذه الظاهرة بأبعادها وجوانبها المختلفة الاقتصادية والسياسية والثقافية، في حركة الاتصالات الحديثة وتدفق وسائل الإعلام، ونظم المعلوماتية، وتزايد القنوات الفضائية والتلفازية، التي أصبحت تغطي أقصى العالم بأدناه لتربطه كله ببعضه في إطار نظام كوني موحد.

تعد هذه المرتكزات والوسائل الآلية التي تعتمد عليها العولمة في تحقيق أهدافها ومآربها المختلفة لغزو المجتمعات البشرية اقتصاديا وثقافية وتقنيا، فلا شك أن للعولمة تأثيرات وانعكاسات كثيرة على البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمختلف المجتمعات المتقدمة والنامية، والتي لا يسلم منها مجتمعنا العربي.

إن الدراسة تطمح إلى تبني رؤية سوسيولوجية لتحليل طبيعة العولمة وانعكاساتها وتأثيراتها على التنشئة الاجتماعية من جهة وعلى الهوية والانتماء والولاء الوطني من جهة أخرى. وبالتالي تتحدد مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية. ما هي العولمة؟ وما تأثيراتها على واقع عملية التنشئة الاجتماعية المستقبلية؟ وما التحديات التي تشكلها بخصوص الهوية الوطنية والقومية؟ وما تأثيرها على الخصوصية الثقافية للمجتمع العربي؟

ثانيا: أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في تصديه لظاهرة جديدة تشكل تحديا بنائيا وثقافيا ووظيفيا، بالنسبة للبناء الاجتماعي العام للمجتمع العربي، فضلا عن أنها شغلت اهتمام كثيرا من القادة والمفكرين والكتاب محليا وعالميا، فوق اهتمام المنظمات العالمية والدولية والمحلية والإقليمية من خلال عقد المؤتمرات والندوات العلمية لمناقشة ودراسة هذه الظاهرة، لغرض فهمها وإدراكها حاضرا ومستقبلا.

ان الضرورة العلمية والأكاديمية تقتضي التصدي لهذه الظاهرة ودراستها دراسة دقيقة للوقوف على أبعادها لكونها ذات جوانب متشابكة ومتداخلة تضرب بجذورها في جميع الميادين والأنظمة الثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية.

ونحن في مجتمعنا العربي لا بد لنا من وقفةٍ وموقف تجاه هذه الظاهرة وتحديد سلبياتها وإيجابياتها، وبالتالي يمكننا التعامل مع الجوانب الإيجابية فيها واستثمارها بالشكل الذي يخدم مجتمعنا العربي ويحقق أهدافه، ويحافظ في الوقت نفسه على بنائه العام وخصوصياته الثقافية والدينية والقومية، لان العولمة تبدو كاسحة وماحقة لكل الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والأيديولوجية.

ثالثاً: أهداف البحث

يسعى البحث إلى معرفة ما يأتي:

1. ماهية العولمة وأبعادها.
2. معرفة طبيعة العلاقة بين العولمة وعمليات التنشئة الاجتماعية.
3. إشكالية العلاقة بين العولمة والهوية والانتمائية.
4. معرفة العلاقات المتداخلة بين هذه المتغيرات.

رابعاً: منهج الدراسة

لقد استعانت الدراسة ببعض من مناهج البحث الاجتماعي لغرض الإحاطة كليا بهذه الظاهرة، وفهمها فهماً شمولياً، فاستخدمت الدراسة المنهاج التاريخي بشكل واسع لتزويدها بطائفة من المعلومات المهمة حول هذه الظاهرة، كما استخدمت المنهج المقارن، لمقارنة بعض المعطيات والحقائق التي يتم التوصل إليها في البحث، فضلاً عن تبيان الجوانب الإيجابية والسلبية للظاهرة. كما أنها استعانت ببعض من أدوات ووسائل جمع الملومات والبيانات كالملاحظة والملاحظة بالمشاركة بوصف الباحث عضوا في المجتمع العربي. إن اتباع هذه المنهجية المتكاملة وفر لنا إطارا نظرياً وعملياً لتغطية موضوع البحث وتشخيص بعض مظاهر العولمة Globalization التي تشكل تحديات خطيرة بالنسبة لمجتمعنا العربي.

خامساً: مفاهيم البحث

لابد من تحديد المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في هذا البحث، وذلك للكشف عن معانيها ومقاصدها ومدلولاتها في البحث، لان لبعض المفاهيم معاني ومضامين متداولة وغير محددة لذلك ينبغي على الباحث أن يحدد معنى دقيقاً لهذه المصطلحات لتكون مقاصدها مفهومة في البحث، وبالتالي يصبح من اليسير على القارئ أن يفهم متضمنات البحث ومفاهيمه. وفيما باتي نقوم بتوضيح أهم المفاهيم الواردة في الدراسة.

أولا: العولمة Globalization

لقد تعددت المفهومات والمدلولات التي قيلت بشأن العولمة، وذلك تبعاً لاختلافات العلماء والمفكرين الفكرية والدينية والأيديولوجية، ومهما يكن من أمر فالملاحظ أن للعولمة أشكال ثلاثة، فهي إما عولمة اقتصادية أو سياسية أو ثقافية ولكل نمط من هذه الأنماط مفهومة وأبعاده الخاصة به.

وفي هذه الدراسة سنركز على العولمة الثقافية Cultural Globalization بوصفها اكثر أشكال العولمة تأثيرا على أوليات التنشئة الاجتماعية من جهة وعلى طبيعة الهوية والانتماء من جهة أخرى.

يعرفها المفكر العربي محمد عابد الجابري (بأنها مرحلة ما بعد الاستعمار ترمي إلى توحيد الاستهلاك، وخلق عادات استهلاكية وهي من إفرازات الثورة المعلوماتية وما رافقها من تطوير في مجال الاتصال والإعلام وهي بالتالي تتجه للوصول إلى نمط الإنتاج الرأسمالي[1]. في حين يرى الأستاذ عبدالباري الدرة (بأنها ظاهرة أو حركة معقدة ذات أبعاد اقتصادية وسياسية وحضارية وتقنية، أنتجتها ظروف العالم المعاصر وتؤثر على حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات والدول المعاصرة تأثيرات عميقة)[2].

ثانياً: التنشئة الاجتماعية Socialization

(1) د. ذياب مخادمة، الثقافة العربية والعولمة، مجلة النص الجديد، ع8، السعودية، 1998: 32.

(2) د. عبدالباري الدرة، العولمة وإدارة التعدد الحضاري والثقافي في العالم وحماية الهوية العربية، في أوراق المؤتمر العلمي الرابع، كلية الآداب والفنون (حوار العولمة والهوية)، الأردن، 1999: 53.

هي عملية اكتساب المعارف والنماذج والقيم والرموز، واختصاراً اكتساب الطرق في السلوك والتفكير والشعور التي تميز الجماعات والمجتمع والثقافة[3].

في حين يرى العالم تالكت بارسونز T. Parsons ، إن العمليات الأساسية في التنشئة الاجتماعية هي تشرب ثقافة المجتمع الذي يولد فيه الطفل، وخاصة الجزء المهم من هذه الثقافة الذي يتكون من أنماط القيم Values Pattern ، التي هي في نفس الوقت منظمة لأنماط المجتمع[4].

أما العالم كلايد كلاكهون K.Klkuhon يرى (إن التنشئة الاجتماعية في أي ثقافة هي عملية نقل السلوك اليومي للأفراد في المواقف المحددة والمتنوعة)[5].

ثالثاً: الهوية Identity

تعرف بأنها (مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي)[6].

في حين يرى الأستاذ محمود أمين العالم بأن الهوية هي (السمة الجوهرية لثقافة من الثقافات لأن الهوية مشروع مفتوح على المستقبل، أي متشابك ومتفاعل مع الواقع والتاريخ، فهي حصيلة تفاعل مجموعة كبيرة من العناصر)[7].

---

(3) جي روشيه، مدخل إلى علم الاجتماع العام، ط1، تعريب، د. مصطفى دندشلي، المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت، 1983: 165.

(4)Taloct. P. s r. Bulls, Family socialization and interaction, free press, N, Y. printed in, U.S.A, 1965 P. 17.

(5)Josatph Hims, The study of socialogy, Madres india, 1967, P. 312.

(6) تركي الحمد، حول العولمة والثقافة الذاتية، مجلة النص الجديد، مصدر سابق: 3.

(7) محمود أمين العالم، الثقافة الهوية العولمة، مصدر سابق: 10.

ويرى زكي الميلاد (أن الهوية لها طبيعة المقاومة لأنها تكرس ذاتها وتتجذر بطريقة شديدة العمق، إذ تمتزج بوجدان كل أمة وروحها العامة، من خلال نظام القيم والحقوق والواجبات والتقاليد والأعراف)[8].

والهوية العربية هي مجموعة السمات التي تطبع بها الثقافة العربية الفرد العربي والجماعة العربية في شتى المجالات، والتي تميز سلوكهم عن غيرهم من الأفراد والجماعات وللهوية العربية ثقافتها الخاصة بها[9].

المبحث الثاني

العولمة طبيعتها ومكوناتها G.Nature & Construction

ظهرت بوادر هذه الظاهرة تاريخيا منذ زمن بعيد ولكن لم تتبلور بشكلها المنظم والمعهود حاليا إلا بعد الانقلابات الكبرى التي حدثت في الاتحاد السوفيتي سابقا، وفي دول أوربا الشرقية، وبعد حرب الخليج الثانية (أم المعارك 1991)، يبدو جليا أن الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية يريد أن يكرس امتيازه ويعمقه من خلال إرساء تفوقه على دول العالم الثالث[10].

إن هذه الظاهرة فتحت موجة من التغيرات شملت العالم برمته وجعلته مفتوحاً على بعضه فهي فلسفة تركيبية واختزالية واندماجية تحاول أن تجعل من

(8) زكي الميلاد، الفكر الإسلامي وقضايا العولمة، مصدر سابق: 39

(9) د. طه عزمي السيد وآخرون، الثقافة الإسلامية، ط1، دار المناهج، الأردن، 1996:148.

(10) بنسالم حميش، الحداثة المعولمة وإشكالية القيم المجتمعية، من منشورات الأكاديمية المغربية ندوة (أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع)، المملكة الغربية، 2001: 274.

العالم المتنوع والمتناقض في هوياته وثقافته وقومياته ودياناته وجغرافيته إطارا في قالب واحد[11]. هادفة إلى حذف وإقصاء الخصوصيات الثقافية والوطنية والقومية، ومحوها وصهرها في ركب النظام العالمي الجديد الذي تدعو إليه وتروج له قنوات العولمة المؤمركة.

فضلاً عن ذلك فالعولمة Globalization هي عملية تبادل إجمالي شامل بين مختلف أطراف الكون، ليتحول بموجبه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهي نموذج للقرية الكونية الصغيرة، التي تربط ما بين الناس والأماكن، ملغية المسافات، ومقدمة المعارف دون قيد، وهي تتجاوز النظم والأيديولوجيات، متمثلة في الدول الكبرى والشركات المتعددة الجنسيات، والمنظمات العالمية[12].

إن العولمة في مضامينها التاريخية، ومنذ أن نشأت، تدك أسساً اقتصادية وتخلخل نظماً اجتماعية، وتتجاوز الطابع القومي للدولة، وتخترق أنظمته الثقافية والقيمية، بل من موقع الهيمنة والتبعية والسيطرة الاقتصادية والسياسية، فهي عموماً أيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة الأمريكية[13].

فالعولمة كما يرى الأستاذ حسن حنفي غزو ثقافي استعماري جديد، تقف على رأسه أمريكا ضدنا نحن العرب، وهو غزو يقوم على أساس التفوق التقني والفني والمعرفي والرغبة الاستعمارية بالسيطرة والاستغلال وفرض التبعية بأشكال مختلفة[14].

---

(11) زكي الميلاد، المصدر السابق: 34.

(12) د.مبارك بو عيشة، البعد الاقتصادي للعولمة، مجلة العلوم الإنسانية، ع 16، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2001: 179.

(13) أحمد بوقري، المثقفون العرب والعولمة، مجلة النص الجديد، المصدر السابق: 17.

(14) د. حسن حنفي، الثقافة العربية العولمة والخصوصية، في ندوة (حوار العولمة والهوية)، مصدر سابق: 30.

ويرى الأستاذ عبدالباري الدرة – أن العولمة كظاهرة وحركة معقدة تتشكل من قوى وعوامل ومفاهيم عدة عملت على تكوينها وتحديد معالمها وأهدافها، ويلخصها في العوامل الآتية[15]:

أ. قوى وعوامل اقتصادية economic factor

ب. قوى وعوامل سياسية Political factor

ج. قوى وعوامل تقنية Technical factor

د. قوى وعوامل ثقافية Cultural factor

ويمكن توضيحها في الترسيمة التالية:

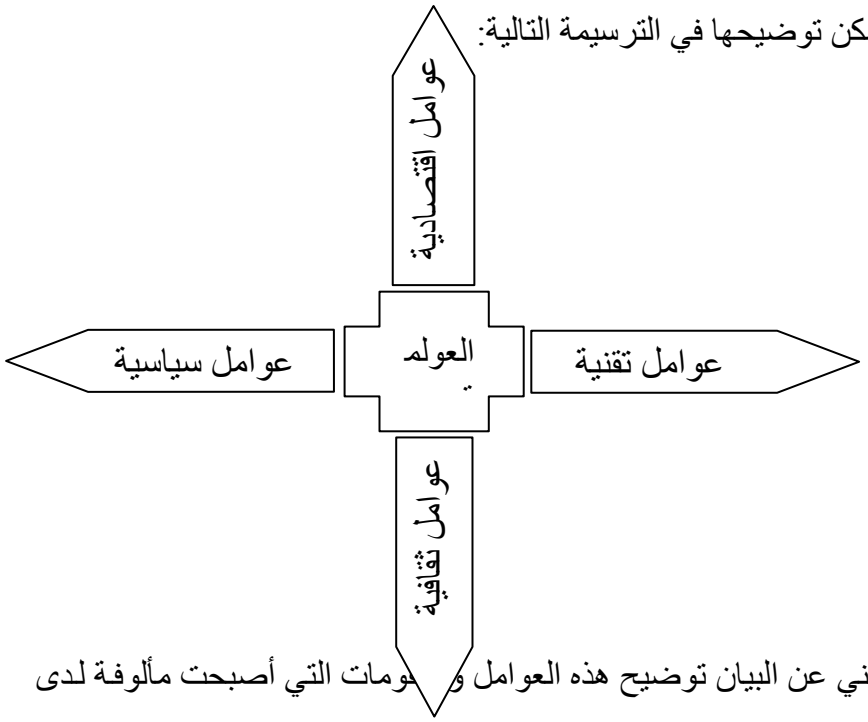

وغني عن البيان توضيح هذه العوامل والمقومات التي أصبحت مألوفة لدى الجميع في العصر الحاضر، حيث تجلت العوامل الاقتصادية في التجارة الحرة، وانفتاح الأسواق العالمية على بعضها، وإدارة راس المال، والدعوة إلى

(15) د. عبد الباري الدرة، المصدر السابق : 55.

الخصخصة، والشركات المتعددة الجنسية أو العابرة للقارات واستثمار الأموال والموارد عبر البحار والمحيطات.

في حين تجلت العوامل السياسية، في ظهور النظام العالمي الجديد والقطبية الأحادية التي تفردت بها في هذا العصر الولايات المتحدة بعد أن انهارت الكتلة الاشتراكية المتمثلة في الاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية، وظهور تحالفات جديدة وكتل جديدة تحركها عوامل المال والاقتصاد العالمي، بينما تمثلت المكونات التقانية للعولمة .Technical G في الثورة المعلوماتية التي فتحت الآفاق بشكل واسع أمام الاستثمار العلمي والمعرفي والتقني وفي جميع المجالات، بما يسرته آلياتها، كنظم المعلوماتية والحاسوب وشبكة الانترنيت التي سهلت تداول المعلومة ونقلها بشكل سريع لم يسبق له مثيل في تاريخ التطور العلمي والمعرفي.

في حين تجلت المقومات الثقافية لظاهرة العولمة في التطور الهائل الذي حصل في وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام المتعددة كانتشار القنوات الفضائية، وبرامج البث الفضائي والتلفازي، التي غطت العالم بشكل مكثف عبر ساعات البث الطويلة التي تبثها تلك الفضائيات وعلى مدار اليوم والنهار بكم هائل من المادة الإعلامية المعولمة.

لذا سوف نهتم بشكل خاص بالعولمة الثقافية بوصفها النمط الأكثر تهديدا للبناء الاجتماعي والبناء الثقافي لمجتمعنا العربي، فضلا عن تأثيراتها على الهوية والانتماء الوطني والقومي والديني للمواطن العربي.

العولمة الثقافية cultural Globalization

وتعني اصطلاحا إشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله نموذجا كونيا، يتوجب تبنيه وتقليده، ولقد بني هذا النموذج على التطور الهائل والسريع في وسائل وأجهزة الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفة في نقل وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى[16].

فضلاً عن ذلك فهي مجموعة قيم ورموز ومعاني وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية وغربية وأمريكية بالدرجة الأساس يراد بها أمركة العالم، وذلك بسيادة وهيمنة الأنموذج الثقافي الأمريكي في جميع ميادين الحياة المادية والروحية ونشره في جميع المجتمعات البشرية[17].

إن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية إنما هي مقدمة لمخاطر اعظم على الدول الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة الوطنية والثقافة الوطنية، حيث أنها تعني مزيداً من تبعية الأطراف للمركز، تجميعاً لقوى المركز وتشتيتاً لقوى الأطراف، بما في ذلك الدول الوطنية التي قامت بدور التحرر الوطني، وتحديث المجتمع والتي قاومت شتى أشكال الهيمنة القديمة والجديدة حتى انهيار المعسكر الاشتراكي، فالهدف هو إذا وضع العالم كله تحت سيطرة المركز وتصبح ثقافته هي النموذج المثالي لثقافة الأطراف[18]. ودول العالم النامي أو دول الجنوب.

ان العولمة الثقافية Cultural Globalization اخطر جوانب العولمة على وجه الإطلاق بكونها هي المعنية بفرض مفهوم "الأقوى" وتقليد أسلوب حياة المنتصر، وهي التي تفتح باب المقارنة على مصراعيه، انه هجوم من خلال

(16) د. حين علوان حسين، العولمة والثقافة العربية، في ندوة (حوار العولمة والهوية)، المصدر السابق نفسه: 16.

(17) د. خليل محمد الخالدي، التنظيم الأسري وتحديات العولمة، مجلة العلوم الاجتماعية، العددان (24-25)، بغداد، 2002: 432.

(18) د. حسن حنفي، المصدر السابق: 33.

العولمة الثقافية، لجعل هذه القرية الكونية، تعيش الأسلوب نفسه أي أسلوب النموذج الأقوى. في زمن تراجعت فيه أعراف وتقاليد وقيم شكلت سياج حماية لمجتمعنا لقرون عدة وإطارا عاما لهويتنا الثقافية[19].

فلا ريب أن التحديات الفكرية والثقافية لها خطورة لا تقل عن خطورة العوامل والتهديدات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بل هي اشد خطرا، لأنها تستهدف تغيير قناعات الإنسان الوطنية والقومية والتأثير على خياره المستقل وانتمائه، وذلك بالتأثير على عقليته وتفكيره، عبر أجهزة وقنوات العولمة المختلفة التي ترمي إلى أضعاف مرتكزات ومقومات البنية الاجتماعية في المجتمع العربي-[20].

وأمام الإخفاقات التي تعاني منها النواحي، الثقافية والاقتصادية والتقنية، داخل العالمين العربي والإسلامي، فإن أرضية التأثير والاستيعاب أصبحت مهيئة اكثر لاستيعاب موجات الثقافة الغربية، وهي تدعو وتنشر قيمها بوصفها قيماً إنسانيا متقدمة جاءت نتيجة قرون من تراكم الخبرات والتجارب الإنسانية في اكثر من مجال وعلى اكثر من صعيد[21].

وفي العصر الحديث تتعرض الثقافة العربية Arabic Culture لخطر كبير بفعل ظاهرة العولمة Globalization phenomenon ، إذ تمثل العولمة الثقافية، اخطر التحديات المعاصرة للثقافة العربية، وهذه الخطورة لا تتأتى عن

(19) د. طه علي أحمد، العولمة والنظام التعليمي في الوطن العربي، مجلة دراسات اجتماعية، ع9، السنة الثانية، بيت الحكمة، بغداد، 2001، 59.

(20) د. فاضل زيدان محمد، الأمن الوطني الداخلي، في مؤتمر بناء الإنسان بعد الحصار، المجمع العلمي العراق 1999: 111.

(21) حبيب ال جميع، العولمة في المجال الثقافي، مجلة النص الجديد، المصدر السابق: 48.

الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما عن الآليات والأدوات التي تستخدم لفرضها، فالعولمة ظاهرة تقفز على الدولة والوطن والأمة وتعمل على أضعاف الدول والتخفيف من حضورها، بقصد تمزيق المجتمع والقضاء على الهوية الوطنية والقومية[22]. وهذه هي الإشكالية الأساسية التي تنطوي عليها آيدولوجيا العولمة حيال المجتمعات والدول.

المبحث الثالث

العولمة والتنشئة الاجتماعية Globalization& Socialization

يخضع المجتمع البشري اليوم عموما والمجتمع العربي بخاصة، تحولات وتبدلات جذرية هائلة لا سابق لها على الإطلاق في مسيرته الحضارية، بفعل ما يشهده ويعيشه من تطور وتغير سريعين في كافة المجالات والأصعدة، والتي تجلت آثارها وانعكاساتها على البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعلمية، بشكل واضح ولافت للنظر يستدعي من تلك الأبنية والنظم أن تكيف نفسها مع حركة التغير الاجتماعي Social change الناجمة عن ثمار ومخلفات وتداعيات العولمة.

أن الإشكالية التي يطرحها البحث هي ما حكم العولمة وما تأثيراتها على عمليات التنشئة الاجتماعية ذاتها؟ وعلى قنواتها ومؤسساتها التقليدية من ناحية أخرى؟ كيف سيتم التعامل مع هذا الجيل وكيف سنعده ونهيئه ليمارس أدواره المستقبلية بنجاح في ظل الانفجار المعرفي والتطور الثقافي السريع؟ الذي يفترض ويتطلب قوة عمل على مستوى عال من الإدراك المعرفي والعملي لفنون الحياة ونشاطاتها المختلفة.

(22) د. حسين علوان حسين، المصدر السابق نفسه: 17.

وينبغي علينا كذلك أن نهيئ وندرب الإنسان العربي على إمكانية التعامل مع المفردات والمفاهيم والمتغيرات الفنية والعلمية والتقنية التي وفرتها ظروف الثورة المعلوماتية في هذا العصر، والمتمثلة في استخدام الأجهزة الإلكترونية العالية التعقيد، كما في نظم الحاسوب وشبكة الانترنيت والمعلوماتية.

من هنا ينبغي على مؤسسات وقنوات التنشئة الاجتماعية النهوض بمسؤولياتها وأدوارها المنوطة بها في ظل عمليات التغير والتطور السريع الذي يشهده المجتمع الحديث، في ظل تنامي قيم العقلانية والموضوعية والفنية والتقنية، التي يؤكد عليها المجتمع الحديث، والتي أصبحت من المعايير الأساسية في المفاضلة بين الأفراد والجماعات، على مستوى أشغال الوظائف والأعمال والمراكز العليا في الإدارة والتنظيم.

والملاحظ أن هذه المراكز والأدوار تتطلب قدرات وإمكانات علمية وفنية على مستوى عال من الدقة والمهارة الفائقة لممارستها أو إمكانية النجاح فيها على الأمد القريب والبعيد، فالإنسان الذي لا يمتلك هذه السمات والمؤهلات سوف يبقى مهمشاً وبعيداً عن روح العصر ومتطلباته.

هذه الإشكالية هي التي تحتم علينا أن نعيد النظر في أوليات التنشئة الاجتماعية المستقبلية وكذلك في مؤسساتها وقنواتها التقليدية (الأسرة، والمدرسة، والمعهد، والجامعة، وأجهزة الإعلام ووسائل الاتصال).

كل هذه القنوات مطالبة لأن تعيد النظر في إستراتيجيتها التعبوية والسوقية على مستوى الأمد البعيد والقريب، ذلك لكي تحقق ذاتها أولا ومن ثم تواكب وتلاحق حركة التطور والتغير السريعة التي تقودها مؤسسات العولمة في هذا العصر.

وكما يرى الأستاذ مصطفى حجازي لم يصبح العالم كوكبا إلا بفضل التقدم الهائل الذي أحرزته تقنيات المعلومات والإعلام والاتصال، وهذه هي التي يسرت ضروب التفاعل والتعامل عن بعد، وهذا ما سيؤثر على طبيعة حياة الأسرة والعمل والصحة والتعليم والمبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[23].

ولما كانت عملية التنشئة الاجتماعية Socialization Process هي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد والسلوك المهني والفني والعلمي فهذا يتطلب نقل ثقافة المجتمع والعصر وغرسها في شخصية الأفراد لكي يواكبوا النقلة الثقافية والمعرفية التي يعيشون ويتفاعلون معها وفي إطارها ففي عصر انفجار الانفتاح الذي عرف أقصى حالاته الراهنة في العولمة. فإن التنشئة الاجتماعية ، دخلت عملية متزايدة التشعب والتعقد، حيث يتعاظم دور القوى والمؤثرات غير المقننة من مثل الإعلام الفضائي، والبث التلفازي، وكثافة التفاعلات الاجتماعية على اختلافها، حتى اكثر المجتمعات رسوخا أخذت تتوجس خيفة من ذوبان الهوية والانتماء وإفلات زمام السيطرة والتوجيه في عمليات التعبئة والإعداد للمستقبل[24].

ومن الملاحظ أن آليات العولمة سوف يكون لها تأثير هائل على مختلف وسائل وأساليب التنشئة الاجتماعية، سواء في الأسرة أو المؤسسات التعليمية أو الإعلامية أو المجتمع برمته، وهذا من شأنه أن يوجد أنماط أخلاقية وقيمية وسلوكية جديدة يتقبلها ويتمسك بها الجيل الحالي والقادم[25].

(23) د. مصطفى حجازي، العولمة والتنشئة المستقبلية، مجلة العلوم الإنسانية، ع2، قطر، 2001: 21.

(24) المصدر نفسه: 33.

(25) د. خليل محمد الخالدي، المصدر السابق: 431.

تلك الأنماط والاتجاهات التي لم نكن نألفها في عصر ما قبل العولمة Pre – Globalization ، وهذا ما سيؤدي إلى حدوث توتر وصراع قيمي ونفسي وسلوكي حاد في الاتجاهات Atitiudes والأفكار Ideas ، ما بين جيل الآباء وجيل الأبناء، فضلا عن بروز بعض من ظواهر الفساد الأخلاقي والتصدع الأسري، وظهور أنماط من السلوك الانحرافي والإجرامي لم يعهده المجتمع العربي من قبل.

إننا يجب أن نعمل وبمختلف وسائل التنشئة الاجتماعية والإعلام والتربية والتغيير البنيوي على تعزيز الاتجاهات القيمية العربية الأصيلة وفي كافة المجالات والقطاعات[26].

إن التنشئة الاجتماعية المستقبلية مدعوة في عصر العولمة إلى تبني خيارات تتجاوز الانسياق التسليمي لها، وفي نفس الوقت الذي تستفيد من إيجابياتها وتعاظم فرصها مما يحتم النظر في الثوابت العربية الإسلامية، وتفعيلها للقيام بدورها الناشط في هذه المرحلة، واستيعاب وتطويع الآثار الاجتماعية لظاهرة العولمة[27].

لذا يجب على مؤسسات التنشئة الاجتماعية أن تأخذ مكانها المطلوب في هذه المرحلة، ولعل ابرز واهم تلك المؤسسات هي الأسرة Family بوصفها تنظيماً اجتماعياً Social Organization بالدرجة الأساس، يقضي فيها الفرد زمنا طويلا من حياته، فهي المسؤولة عن عملية ترسيخ القيم والعادات والتقاليد ونقلها وتمريرها من جيل إلى آخر، ولذا فإن أي تلكؤ في أداء هذه الأدوار الاجتماعية

(26) د. حليم بركات، دور المبدع والمثقف في التحديث الاجتماعي وتشكيل الوعي الثقافي، في المنظمة العربية والثقافة والعلوم، تونس، 1998: 83.

(27) د. مصطفى حجازي،المصدر السابق نفسه:34.

Social Rules يفقدها وظائفها وقدرتها على أداء رسالتها التربوية والاجتماعية[28].

إن إيديولوجية التنشئة الاجتماعية عليها أن تغير من استراتيجيتها، وفق معطيات وانعكاسات ونتائج وثمار الثورة المعلوماتية بوصفها المحرك الأساسي الذي تستند إليه قنوات العولمة ومؤسساتها المختلفة، بحيث نهيئ إنسانا حداثوياً قادر على التعامل مع متطلبات العصر وروحه، لأن التنشئة الاجتماعية هي التي تضفي الطابع الاجتماعي والمهني على الشخصية، وتجعلها جاهزة وقادرة على ممارسة أدوارها المستقبلية التي يتطلبها المجتمع ومؤسساته الحديثة وبدون هذه العملية، لا يمكن للفرد أن يندمج ويتكامل مع حركية المجتمع في تحولاته وتبدلاته الاجتماعية والثقافية، فضلا عن ذلك فإن التنشئة الاجتماعية لها علاقة وثيقة بطابع الهوية والشخصية وصياغتها وفقا لثقافة المجتمع ومنظومته القيمية والحضارية، بحيث تعزز فيه الشعور والإحساس بالذات في إطار الكل الاجتماعي فتصبح حينئذ الهوية Identity جزء من النسيج الاجتماعي والثقافي العام للمجتمع، لتكتسب خصوصيتها الوطنية والقومية، التي تسعى إلى تحقيقها ثقافة المجتمع.

ومن المناسب أن نحدد بعضا من نتائج العولمة وانعكاساتها على طبيعة التنشئة الاجتماعية وآفاقها المستقبلية.

1. تنامي قيم الفردانية المتمثلة في تزايد شعور الفرد باستقلاليته وبخصوصيته أو تميزه عن الآخرين.
2. تنامي معايير البضاعية، مع تغلغل الاقتصاد الرأسمالي، أي اقتصاد السوق المفتوح لتترسخ بالتدريج في سلوكيات الأفراد، ولا وعيهم،

(28) د. خليل محمد الخالدي، المصدر السابق: 432.

وتكتسب القيم التبادلية أولوية على القيم المعنوية للأشياء والظواهر[29].

3. تنامي القيم العقلانية في كافة المجالات، كقيم الموضوعية، والواقعية، والانتهاج العلمي.
4. إن طابع القيم المستقبلية، سيؤكد على الإبداع والابتكار والتفرد والتجدد والريادة والخروج من المألوف وتخطي العادي، والتحديث والتخطيط والانفتاح[30].
5. ستنتقل كثير من أساليب التنشئة وعملياتها من المؤسسات التقليدية "كالأسرة والبيئة والحي والمدرسة" إلى الميادين الحديثة التي خلقتها الثورة المعلوماتية، في تقنياتها وأجهزتها وقنواتها المتنوعة.
6. تراجع وتقهقر لكثير من القيم الاجتماعية والثقافية الأصلية، بفعل طغيان وانتشار القيم والممارسات السلوكية الهدامة التي تروج لها قنوات العولمة.

الخلاصة

توخى البحث معرفة التأثيرات والانعكاسات والنتائج التي تشكلها ظاهرة العولمة على البنية الاجتماعية والتنظيمية للمجتمع العربي، فضلا عن تبيان تأثيراتها المتشعبة في الأنساق الثقافية والقيمية والنفسية للمجتمع العربي، لا سيما في معرفة تأثيراتها على أنماط التنشئة الاجتماعية وقنواتها التقليدية والحديثة، كما هدفت الدراسة إلى تبيان انعكاسات العولمة الثقافية في الارتباط والولاء الوطني والقومي للإنسان العربي، بهويته الثقافية وشخصيته وخصوصيته الحضارية المستقلة.

(29) محمد سبيلا، التحديث وتحولات القيم، منشورات الأكاديمية المغربية، المصدر السابق: 368.

(30) د. حليم بركات، المصدر السابق: 84.

لقد اثبت الدراسة ان للعولمة تأثيرات كثيرة، لا تنحصر في نطاق عمليات التنشئة ومسألة إعداد الأجيال المستقبلية، إنما لها تأثيرات مباشرة في صياغة الشخصية والهوية والانتمائية الثقافية التي هي قوام النظام الثقافي والاجتماعي للمجتمع العربي، وذلك بحكم تأثيراتها الممتدة في جميع الميادين، تلك التأثيرات التي تتخذ من وسائل الاتصال ووسائل الإعلام، ونظم المعلوماتية قنوات ومؤسسات لتحقيق أهدافها ونشر أفكارها.

لذا يتحتم على المجتمع العربي أن يحدد موقفه من هذا التحدي الهائل الذي تشنه قنوات العولمة ومؤسساتها، عن طريف إثبات وجوده وقدراته الثقافية والاقتصادية بتأصيل نموذجه الحضاري، وتقويته وتعزيزه، ليكون بديلاً صالحاً عن ما تثيره وتروج له أيديولوجية العولمة.

أن التصدي لهذه الظاهرة يتم عن طريق إثبات الخصوصية الثقافية وتحفيزها بواسطة أجهزة الإعلام والاتصال، لكي تكون قادرة على منافسة قوى العولمة وآلياتها. فضلا عن ذلك فلكي نكون في مأمن من فخ العولمة يجب علينا أن نخفف من نظرتنا وانبهارنا وإعجابنا بثقافة الغرب الاستهلاكية. ونكسر هاجس التقليد والتابعية بتأصيل العمليات الإبداعية والإبتكارية، في أدبنا وثقافتنا ومعارفنا النظرية والتقنية ، لكي تكون قادرة على إثبات الذات الحضارية والأصالة التاريخية للامة.

Abstract

Globalization & Socialization & Identity From Cultural Variation

Dr. Khlel Mohmd [*]

This research deals with effect reflections and results, which caused by globalization organizational and social structure of Arab society. Additionally, it reveals its complicated effect in cultural value and psychological systems of Arab society, namely to know its effect and socialization pattern and modern and traditional institution.

This study also aims at revealing the reflection of cultural globalization in patriotic, national and religious loyalty of Arab man to his cultural identity, his personality, and his independent cultural specialty.

The research concluded that globalization affect on socialization process and the question of the coming generation.

It also affects on casting personality and cultural identity of society in short time.

(*) Sociology Department – College of Arts / University of Mosul.